مايكل روبرتس

250 عاماً
الولايات المتحدة – من الاستقلال إلى الإمبراطورية

ترجمة وإعداد وتحرير
مصباح كمال

عنوان الكتاب: 250 عاماً: الولايات المتحدة – من الاستقلال إلى الإمبراطورية
250 YEARS: The United States – from independence to empire

إعداد وترجمة وتحرير: مصباح كمال

طبعة إلكترونية: 2026

الناشر: مكتبة الظل الموازي
Parallel Shadow Library

misbahkamal@btinternet.com

هـذا الكـراس متـاح للاسـتخدام غـير التجـاري، والترخـيص بالمثـل وفـق رخصـة الإبـداع المشـاع – Creative Commons – شريطـة نسـب العمـل إلى صـاحب العمـل الأصـلي (المؤلـف/المترجم/المحرر). يمكـن نسـخ هـذا العمـل أو مشـاركته أو الاقتبـاس منـه، بشرط ذكر المصدر، والحفاظ على الرخصة نفسها في أي استخدام لاحق.

رغـم الجهـد والعنايـة الـتي بـذلها مـترجم ومعـد ومحـرر هـذا الكـراس فإنـه لا يتحمـل أيـة مسـؤولية تجـاه مسـتعملي الكتـاب فيمـا يتعلـق بـأي خطـأ أو نقـص أوعيـب في شـكل الكتـاب أو مضمونه.

تم الانتهاء من الإعداد والتحرير بتاريخ 13 تموز 2026.

المحتويات

تمهيد: في تعدد مقاربات قراءة الذكرى المئتين والخمسين لتأسيس الولايات المتحدة **4**

الثورة الأمريكية بين السردية الوطنية والنقد التاريخي 4
الدولة الأمريكية والتراكم الرأسمالي 5
البعد الثقافي في قراءة التجربة الأمريكية 7
مقالات مايكل روبرتس وإعادة بناء الرواية التاريخية 8
خاتمة 8

الجزء الأول: الثورة **10**

الجزء الثاني: الاقتصاد الأمريكي في القرن التاسع عشر: توسع الإمبراطورية، وتصنيعٍ أمريكا **18**

الجزء الثالث: من الهيمنة إلى الأفول **24**

تمهيد: في تعدد مقاربات قراءة الذكرى المئتين والخمسين لتأسيس الولايات المتحدة

تمثل الذكرى المئتين والخمسين لتأسيس الولايات المتحدة مناسبة لإعادة التفكير في هذا الحدث التأسيسي من منظور يتجاوز السرديات الاحتفالية التي تعيد إنتاج تاريخ مصقول يخلو من تناقضاته البنيوية. فهذه اللحظة التاريخية يمكن مقاربتها من زوايا متعددة ومتكاملة: مقاربة سياسية تبرز طبيعة الدولة الناشئة وصراعاتها، ومقاربة اقتصادية تاريخية تعيد وصل نشوء الجمهورية الأمريكية بالبنى المادية للرأسمالية، ومقاربة ثقافية تكشف الكيفية التي تشكل بها الخيال الأدبي والبصري في سياق مشحون بالتوترات الطبقية والعرقية والاستعمارية. ولا يمثل الجمع بين هذه المقاربات ترفًا منهجيًا، بل ضرورة لفهم البنية العميقة التي تشكلت عبرها الولايات المتحدة، ولتفكيك الخطابات التي تحجب العنف البنيوي الملازم لنشأة الدولة الحديثة.

وينطلق هذا الملف من سؤال مشروع: لماذا اختيار مقالات مايكل روبرتس الثلاثة تحديدًا؟ تكمن الإجابة في أن روبرتس يقدم إطارًا تحليليًا متماسكًا يعيد ربط التاريخ السياسي بالتاريخ الاقتصادي، ويكشف أن تشكل الولايات المتحدة لم يكن ثمرة سردية مجردة عن الحرية، بل نتاج صراعات طبقية وتراكم أولي عنيف أسس للرأسمالية الأمريكية. وتكتسب مقالاته الثلاث أهميتها من كونها تشكل قراءة مترابطة للحظة التأسيس، بوصفها تعبيرًا عن بنية مادية لا تزال آثارها حاضرة في المجتمع الأمريكي المعاصر.

الثورة الأمريكية بين السردية الوطنية والنقد التاريخي

تظهر الدراسات النقدية الحديثة أن الثورة الأمريكية لم تكن حدثًا تحرريًا شاملًا بقدر ما كانت لحظة تاريخية معقدة انطوت على تناقضات اجتماعية وعرقية عميقة. ويذهب جيرالد هورن، في كتابه **الثورة المضادة لعام 1776**،[1] إلى أن استقلال

[1] يُعدّ كتاب المؤرخ الأميركي جيرالد هورن المعنون *The Counter-Revolution of 1776: Slave Resistance and the Origins of the United States of America* (New York University Press,

المستعمرات ارتبط، في أحد أبعاده الجوهرية، بمقاومة المستوطنين للاتجاه البريطاني نحو الحد من العبودية، الأمر الذي جعل الثورة الأمريكية، في جانب أساسي منها، ثورة مضادة هدفت إلى حماية نظام اقتصادي قائم على استرقاق البشر. ومن هذا المنظور، لم يكن من قبيل المصادفة أن ينحاز كثير من الأفارقة المستعبدين إلى جانب الإمبراطورية البريطانية، إدراكًا منهم أن مشروع المستوطنين لا يحمل وعدًا بالتحرر، بل يسعى إلى ترسيخ العبودية باعتبارها ركيزة للتراكم الرأسمالي الناشئ.

وامتدت هذه التناقضات والبعد المضاد للثورة ليشمل حملات الإبادة الجماعية ضد السكان الأصليين، الذين وصفهم توماس جيفرسون في "إعلان الاستقلال" بأنهم "هنود متوحشون لا يعرفون الرحمة". إلى علاقة الجمهورية الوليدة بالسكان الأصليين. فقد رافق مشروع الاستقلال توسع استيطاني عنيف تُرجم في حروب الإبادة ونزع الملكية، بينما صوّر خطاب الاستقلال الرسمي الشعوب الأصلية باعتبارها عائقًا أمام المشروع الأمريكي. وقد خاضت هذه الشعوب حروبًا دفاعية، غالبًا بالتحالف مع القوى الإمبراطورية المنافسة، إدراكًا منها أن الخطر الأكبر على وجودها وأراضيها يتمثل في التوسع الاستيطاني الأمريكي. إن استحضار تطلعات السود والسكان الأصليين إلى الحرية، وفهم الكيفية التي أُخضعت بها تلك التطلعات، يظل ضروريًا لكشف ما تستبعده السرديات الوطنية من وقائع العنف البنيوي.

الدولة الأمريكية والتراكم الرأسمالي

لا يمكن فهم التحول الاقتصادي الذي شهدته الولايات المتحدة بعد الاستقلال بمعزل عن الدور الذي اضطلعت به الدولة في بناء الشروط التاريخية للتصنيع والتراكم الرأسمالي. فمنذ أواخر القرن الثامن عشر اعتمدت الحكومة الفيدرالية التعرفة الجمركية أداةً لحماية الصناعات الناشئة وتمويل الخزانة، بينما بلور ألكسندر

(1914 من الأعمال التاريخية التي أحدثت تحولًا في فهم اللحظة التأسيسية للولايات المتحدة. إذ يقدّم هورن أطروحة نقدية جذرية مفادها أن الثورة الأمريكية لم تكن مشروعًا تحرّريًا شاملاً كما تُصوّرها السرديات الرسمية، بل جاءت في أحد أبعادها الأساسية بوصفها ثورة مضادة هدفت إلى مقاومة الاتجاه البريطاني نحو إلغاء العبودية، والحفاظ على نظام الاسترقاق الذي شكّل قاعدة التراكم الرأسمالي في المستعمرات. ويُبرز الكتاب، عبر تحليل وثائقي واسع، أن المستعمرين خاضوا الحرب دفاعًا عن مصالح اقتصادية قائمة على العبودية، وأن مقاومة السود والسكان الأصليين كانت جزءًا بنيويًا من ديناميات الصراع التي سبقت تأسيس الدولة الأمريكية. ويقع الكتاب ضمن حقل التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للولايات المتحدة، ودراسات العبودية، والتاريخ الإمبراطوري، ويُعدّ مرجعًا أساسيًا في إعادة قراءة الثورة الأمريكية من منظور مادي نقدي.

هاملتون،[2] ثم هنري كلاي[3] لاحقًا، تصورًا يجعل من حماية الصناعات الوليدة وتطوير البنية التحتية شرطًا لبناء اقتصاد صناعي مستقل. ورغم استمرار الجدل بين المؤرخين حول مدى فعالية هذه السياسات، فإنها أسهمت، إلى جانب وفرة الموارد الطبيعية واتساع السوق الداخلية والهجرة وتراكم رأس المال، في تهيئة البيئة التي انطلقت منها الثورة الصناعية الأمريكية.

ولم يقتصر تدخل الدولة على الحماية الجمركية، بل شمل تمويل الطرق والقنوات والسكك الحديدية، وتطوير نظام متقدم للبراءات، وتوسيع المشتريات الحكومية، ولا سيما العسكرية، بما حفز نمو الصناعات الثقيلة والهندسية. وفي الوقت نفسه، لعبت التشريعات الخاصة بالأراضي وسندات الملكية دورًا محوريًا في تحويل أراضي السكان الأصليين إلى فضاء اقتصادي مفتوح أمام التوسع الرأسمالي، بما أدى إلى إعادة تشكيل الجغرافيا الاقتصادية للولايات المتحدة ودمج مساحات شاسعة في السوق الوطنية الصاعدة.[4]

[2] ألكسندر هاملتون (1755/1757–1804) يُعدّ أحد أبرز الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، وصاحب التأثير الأكبر في وضع الأسس المالية والاقتصادية للجمهورية الناشئة. وبصفته أول وزير للخزانة، بلور رؤية تنموية جعلت من الدولة فاعلًا رئيسيًا في بناء اقتصاد وطني قوي، فدعا إلى إنشاء مصرف وطني لتنظيم الائتمان وتثبيت العملة وتمويل الاستثمار، وإلى فرض تعرفة جمركية لحماية الصناعات الوليدة من المنافسة الأجنبية، فضلًا عن تشجيع الاستثمار العام في البنية التحتية بوصفه شرطًا لتسريع التصنيع وتعزيز التكامل الاقتصادي. وقد شكّلت هذه المبادئ، التي عرضها بصورة منهجية في تقريره الشهير *Report on Manufactures* (1791)، الأساس الفكري لما عُرف لاحقًا بـ"النظام الأمريكي" (American System)، الذي تبناه وطوّره هنري كلاي في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

[3] هنري كلاي (1777–1852) سياسي بارز في القرن التاسع عشر، وعضو مؤثر في الكونغرس، لقّب بـ "The Great Compromiser" "المُصالح العظيم" بسبب دوره المحوري في التوصل إلى تسويات سياسية كبرى هدفت إلى الحفاظ على وحدة الولايات المتحدة. كان مهندس الصيغة الأكثر اكتمالًا لـ **"النظام الأميركي"** الذي يجمع بين الحماية الجمركية، وتطوير البنية التحتية، وتعزيز السوق الداخلية. رأى كلاي أن الدولة يجب أن تدعم التكامل الاقتصادي الوطني عبر الطرق والقنوات والسكك الحديدية، وأن الحماية ضرورية لتقوية الصناعات الأميركية في مواجهة المنافسة الأوروبية. وبذلك مثّل الامتداد السياسي الأكثر وضوحًا لرؤية هاملتون الاقتصادية في القرن التاسع عشر

[4] يُعدّ كتاب *Bury My Heart at Wounded Knee* (Holt, Rinehart and Winston, 1970) للمؤرخ الأمريكي Dee Brown من أبرز الأعمال التي أعادت كتابة تاريخ التوسع الأمريكي غربًا من منظور الشعوب الأصلية. ويغطي المرحلة الممتدة بين ستينيات القرن التاسع عشر ومذبحة ووندد ني عام 1890، مستندًا إلى وثائق رسمية وشهادات وخطابات ومعاهدات معاصرة. وتتمثل أطروحته المركزية في أن بناء الدولة الأمريكية في الغرب لم يكن مسارًا طبيعيًا لـ"التمدن" أو "القدر المتجلي" Manifest Destiny، كما تصورته السردية القومية التقليدية، بل اقترن بسلسلة من الحروب، ونقض المعاهدات، والتهجير القسري، ونزع ملكية الأراضي، التي انتهت إلى تحطيم المجتمعات الأصلية وإخضاعها لسلطة الدولة الاستيطانية. ورغم أن الكتاب ليس دراسة في الاقتصاد السياسي، فإنه يقدم مادة تاريخية غنية تكشف الكيفية التي مهد بها العنف الاستعماري والاستيلاء على الأراضي لتوسع الاستيطان والسوق الرأسمالية في الغرب الأمريكي. وقد حظي الكتاب بانتشار واسع، وحُوّل إلى فيلم

ومن ثم، فإن تدخل الدولة لم يكن مجرد سياسة اقتصادية ظرفية، بل أحد الشروط التاريخية التي أسهمت في بناء البنية الاقتصادية التي قامت عليها القوة الصناعية الأمريكية خلال القرن التاسع عشر.

البعد الثقافي في قراءة التجربة الأمريكية

إن الاقتصار على المقاربة السياسية أو الاقتصادية وحدها يظل قاصرًا عن تفسير التجربة الأمريكية في تعقيدها الكامل، إذ لا يكتمل فهم الولايات المتحدة من دون الالتفات إلى بعدها الثقافي. فالبلاد التي مارست نفوذًا عسكريًا وسياسيًا واسعًا، وأنتجت رأسمالية توسعية، وأعادت تشكيل الخيال البصري العالمي عبر السينما والمنصات الرقمية، أنجبت أيضًا تراثًا أدبيًا وفنيًا بالغ الثراء، استطاع أن يحول التناقضات الاجتماعية نفسها إلى مادة للنقد والمساءلة.

وفي هذا السياق، تكتسب ملاحظة ندى حطيط أهميتها حين تصف الولايات المتحدة بأنها ليست إمبراطورية وقوة اقتصادية فحسب، بل "مكتبة واسعة، صاخبة، متناقضة، ومفتوحة على كل أشكال الحلم".[5] فالنظر إلى الولايات المتحدة من زاوية القوة وحدها يحجب أحد أهم عناصر تكوينها الحضاري، إذ إن التربة التاريخية المضطربة التي شهدت العبودية والاستيطان والتوسع الرأسمالي أنجبت في الوقت نفسه أدبًا استطاع مساءلة السلطة وكشف العنف وفضح هشاشة الحلم الأمريكي من داخله. ومن ثم، فإن الاعتراف بهذا البعد الثقافي لا يناقض النقد، بل

تلفزيوني بعنوان Bury My Heart at Wounded Knee، أُنتج عام 2007، مسلطًا الضوء على السنوات الأخيرة من مقاومة شعوب السهول الكبرى وسياسات الحكومة الأمريكية تجاهها.

كتاب دي براون عمل تاريخي سردي ذو بعد إنساني أكثر منه دراسة في التاريخ الاقتصادي. هناك دراسات أكاديمية عديدة عن الموضوع ومنها:
Roxanne Dunbar-Ortiz, *An Indigenous Peoples' History of the United States* (Beacon Press, 2014)
وقد حاز الكتاب جائزة الكتاب الأمريكي (American Book Award) عام 2015، ويُعد من أهم المراجع المعاصرة في إعادة كتابة تاريخ الولايات المتحدة من منظور الشعوب الأصلية، إذ يجادل بأن الاستعمار الاستيطاني ونزع ملكية السكان الأصليين ليسا أحداثًا هامشية، بل يشكلان البنية المؤسسة للدولة الأمريكية وتوسعها الرأسمالي.

[5] جريدة **الشرق الأوسط**، 8 يوليو 2026. أميركا الأخرى بعد 250 سنة... مكتبة كبرى

يعمقه، لأنه يكشف كيف انعكست تناقضات الرأسمالية الأمريكية في إنتاجها الأدبي والفكري.[6]

مقالات مايكل روبرتس وإعادة بناء الرواية التاريخية

في هذا الإطار تكتسب القراءة الماركسية التي يقدمها مايكل روبرتس للذكرى المئتين والخمسين أهميتها، لأنها تعيد ترتيب عناصر الرواية التاريخية انطلاقًا من القوى الاجتماعية التي صنعت الحدث، لا من الرموز الوطنية التي احتكرت تمثيله. ففي الجزء الأول من دراسته، يعيد روبرتس تفسير الثورة الأمريكية باعتبارها صراعًا بين النخب الاقتصادية المحلية والإمبراطورية البريطانية حول الضرائب والتجارة والملكية، أكثر منها ثورة شاملة من أجل الحرية، بينما بقيت الطبقات العاملة والعبيد والسكان الأصليون خارج المشروع السياسي الذي كرسته الرواية الرسمية.

وينتقل الجزء الثاني إلى تحليل التحولات الاقتصادية التي أعقبت الاستقلال، مبينًا أن التوسع السريع للرأسمالية الزراعية والصناعية لم يكن نتاج روح المبادرة وحدها، وإنما استند إلى تراكم أولي قام على العبودية ونزع ملكية السكان الأصليين والتوسع العسكري. ومن هذا المنظور، تصبح القوة الاقتصادية الأمريكية نتيجة لمسار تاريخي اتسم بالعنف البنيوي، لا مجرد ثمرة لتفوق اقتصادي أو مؤسسي.

أما الجزء الثالث، فيتجه إلى نقد الخطاب الاحتفالي المعاصر الذي يصور الذكرى المئتين والخمسين بوصفها مناسبة للوحدة الوطنية والديمقراطية المكتملة، متجاهلًا التناقضات البنيوية الملازمة للرأسمالية الأمريكية منذ نشأتها، من اللامساواة الطبقية إلى الأزمات الدورية والتوترات العرقية. ويخلص روبرتس إلى أن هذا الاحتفال يعيد إنتاج سردية وطنية تحجب استمرار الصراع الطبقي وآثاره في المجتمع الأمريكي، بينما تقتضي القراءة النقدية إعادة إدراج هذه التناقضات في صلب تفسير التاريخ الأمريكي.

خاتمة

[6] Annette T. Rubinstein, *American Literature: Root and Flower* (Beijing, Foreign Language Teaching and Research Press, 1988) Two Volumes.

وعلى هذا الأساس، لا تمثل الذكرى المئتين والخمسين مجرد مناسبة للاحتفاء بالماضي، بل فرصة لإعادة مساءلة الأسس التي قامت عليها الجمهورية الأمريكية. فالربط بين المقاربات السياسية والاقتصادية والثقافية يكشف أن تشكل الولايات المتحدة كان حصيلة عمليات متشابكة من الصراع الاجتماعي والتراكم الرأسمالي والاستيطان والعنف، وأن آثار هذه العمليات لا تزال حاضرة في بنية المجتمع الأمريكي المعاصر. ومن هنا تأتي أهمية مقالات مايكل روبرتس، إذ لا تقدم سردًا بديلًا للتاريخ فحسب، بل إطارًا تحليليًا يعيد وصل الاقتصاد السياسي بالتاريخ والثقافة، ويجعل من الذكرى مناسبة لإعادة التفكير في معنى التأسيس ذاته، بعيدًا عن السرديات الاحتفالية التي تفصل الإنجاز التاريخي عن شروط إنتاجه وتناقضاته.

ملاحظة
جميع الهوامش باللغة العربية من وضع المترجم، مستمدة من مصادر مختلفة.

الجزء الأول: الثورة

Part One: the revolution

في الرابع من يوليو عام 2026، ستمر 250 عاماً على إعلان المستعمرات البريطانية الثلاث عشرة في أمريكا الشمالية استقلالها عن القوة الاستعمارية البريطانية خلال مؤتمر عُقد في فيلادلفيا. ومنذ ذلك الاستقلال، توسعت الولايات المتحدة الأمريكية -وهو الاسم الذي عُرفت به لاحقاً- نحو الغرب لتشمل كامل مساحة القارة، ثم بنت إمبراطورية خارجية امتدت عبر الأمريكتين ووصلت إلى المحيط الهادئ. وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، كانت الولايات المتحدة قد أصبحت قوة اقتصادية وصناعية كبرى، ثم تحولت -مع نهاية الحرب العالمية الثانية في القرن العشرين- إلى القوة المهيمنة عالمياً من النواحي الصناعية والمالية والعسكرية؛ وقد جسّد مصطلح "السلام الأمريكي" (Pax Americana) تلك الحقبة الممتدة من منتصف القرن العشرين وحتى نهايته. ومع ذلك، ففي العقود الثلاثة الأولى من القرن الحادي والعشرين، بدأت تلك الهيمنة تتراجع (نسبياً) أمام منافسين جدد صاعدين على الساحتين الاقتصادية والسياسية.

يكاد صعود الرأسمالية الأمريكية على مدى 250 عاماً يطابق تماماً صعود الرأسمالية لتصبح نمط الإنتاج السائد عالمياً. ففي منتصف القرن الثامن عشر، كان التراكم الرأسمالي لا يزال مقتصراً إلى حد كبير على التجارة والزراعة؛ إذ لم تكن الصناعة هي المحرك للنمو، وكانت الغالبية العظمى من السكان في الأمريكتين وأوروبا وآسيا تعيش وتعمل في الزراعة.

كان ذلك العام أيضاً هو العام الذي نشر فيه الاقتصادي الاسكتلندي -أحد أعلام عصر التنوير- آدم سميث كتابه الشهير **ثروة الأمم**، الذي وضع الأسس النظرية والعملية لإنهاء القيود الإقطاعية وشبه الإقطاعية التي كانت تعيق النمو والازدهار.[7] فقد جادل سميث بأن ثروة الأمم ينبغي -ويمكن- أن تُبنى على أسواق حرة للبيع والشراء، مع الحد الأدنى من التدخل الحكومي وإنهاء الاحتكارات التي تسيطر عليها الدولة. ومن شأن هذه

[7] The Wealth of Nations, which provided the theoretical and empirical foundation for the ending of feudal and semi-feudal restrictions on growth and prosperity.

الحرية أن تتيح زيادة "تقسيم العمل" لتعظيم الإنتاجية وتراكم رأس المال. لقد جسّد صعود الرأسمالية الأمريكية توقعات سميث، لكنه كشف أيضاً وبوضوح عن مواطن الخلل والتناقضات الكامنة في هذا النمط الرأسمالي للتنظيم الاجتماعي البشري.

يمكن تقسيم صعود (وأفول؟) الرأسمالية الأمريكية إلى أربع مراحل تاريخية:

1) عام 1776: الاستقلال عن القوة الاستعمارية البريطانية وتوسع الإمبراطورية الأمريكية؛

2) الفترة 1861-1864: الحرب الأهلية التي فرضت خضوع الولايات التي تمارس العبودية للسلطة الفيدرالية، وعجّلت بعمليات التصنيع وانتشار الأسواق الرأسمالية في أنحاء القارة، بالتزامن مع توسع الإمبراطورية الأمريكية في الأمريكتين ومنطقة المحيط الهادئ؛

3) الفترة 1941-1945: بعد حربين عالميتين، تأكدت الهيمنة العالمية للولايات المتحدة وأصبحت القواعد الدولية للتجارة والنظام والمؤسسات خاضعة للسيطرة الأمريكية؛

و4) منذ عام 1991: مع نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي، ولكن -والمفارقة هنا- أنه بدلاً من احتفاظ الولايات المتحدة بهيمنة عالمية مطلقة (في ظل مقولة "نهاية التاريخ")، دخلت الإمبريالية الأمريكية مرحلة من التراجع النسبي، اقتصادياً وسياسياً، وإن ظلت -بلا منازع- الدولة الأقوى على وجه الأرض.

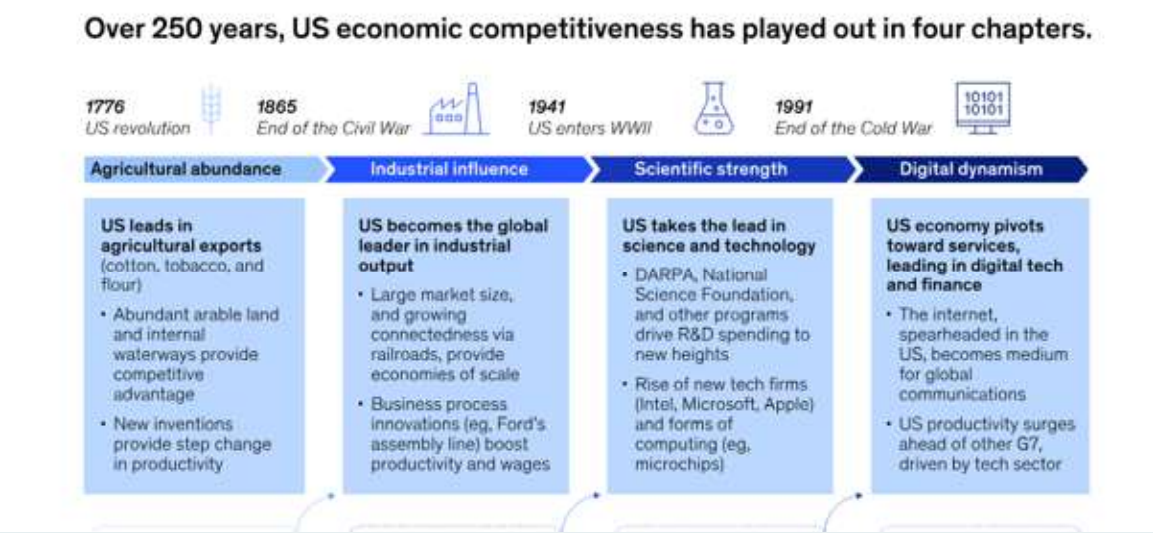

لقد أقدم الآباء المؤسسون، الذين وقعوا على إعلان الاستقلال في 4 يوليو 1776، على هذه الخطوة في المقام الأول بهدف نيل "الحكم الذاتي" home rule من بريطانيا، وذلك للحصول على حقوق سياسية واقتصادية محددة كانت التاج البريطاني يحرمهم منها (وهو التاج نفسه الذي كان يحرم إيرلندا من الحقوق ذاتها في الفترة نفسها). ومع ذلك، لم تكن لدى الآباء المؤسسين أي رغبة في إجراء إعادة هيكلة جذرية للمجتمع؛ إذ تمثلت غايتهم -تحت قيادة نخبة من كبار الملاك والتجار الأثرياء- في القضاء على التدخل البريطاني مع الحفاظ في الوقت ذاته على التراتبيات الاجتماعية القائمة وتقاليد الملكية الراسخة. غير أن تحقيق هذه الأهداف تطلب من النخبة حشد دعم المزارعين الفقراء وعامة الناس في المدن الساحلية. وهكذا، وكما هو الحال في أي تمرد أو ثورة من هذا القبيل، تخللت حرب الاستقلال انقسامات طبقية برزت في خضم النضال "الوطني" للتحرر من الحكم البريطاني. لقد أعلن الآباء المؤسسون أن "جميع البشر خُلقوا متساوين" (وهو مبدأ لم يشمل بالطبع النساء، ولا العبيد، ولا الخدم البيض المرتبطين بعقود عمل، ولا السكان الأصليين لأمريكا)؛ ولذا، كان لا بد من تقديم بعض الحوافز لعامة الناس من الفقراء، حتى في ظل مجتمع المستعمرات الثلاث عشرة الذي اتسم بتفاوت طبقي صارخ.

في الواقع، تحولت الثورة إلى حرب أهلية؛ فمنذ أحداث "حادثة شاي بوسطن"[8] Boston Tea Party عام 1773، ومروراً بمعركة يوركتاون Yorktown عام 1781، ووصولاً إلى معاهدة باريس عام 1783، اتخذ الصراع هذا المنحى. وبحلول عام 1780، كان نحو ثلث المواطنين الأحرار -الذين بلغ عددهم قرابة 2,100,000 نسمة في المستعمرات البريطانية التي أصبحت فيما بعد "الولايات المتحدة"- يصفون أنفسهم بأنهم "وطنيون" Patriots، مدفوعين بمزيج من المثالية والمصلحة الذاتية. وفي المقابل، ظل ثلث آخر موالياً للإمبراطورية البريطانية؛ ونظراً لما واجهوه من تهديدات -مثل طلاء أجسادهم بالقطران والريش ومصادرة ممتلكاتهم[9]- فقد غادر نحو 60,000 شخص من هؤلاء الموالين (الذين قُدّر عددهم الإجمالي بنحو 700,000 نسمة) البلاد متوجهين إلى كندا أو بريطانيا. أما الثلث الأخير من المستعمرين colonists، فقد وقف في منطقة وسطى غير مريحة؛ إذ لم يكونوا مستعدين للمخاطرة بحياتهم وثرواتهم في حرب دامية وشاملة ضد الإمبراطورية البريطانية، لكنهم في الوقت ذاته لم يكونوا مستعدين للحفاظ على ولاءٍ شرسٍ -ودامٍ أيضاً- للملك البريطاني والوطن الأم.

يُقدّر المؤرخون أن ما بين 25,000 و70,000 من الوطنيين لقوا حتفهم مباشرةً بسبب الحرب، نتيجةً لحُمّى المعسكرات[10] camp fever ونيران البنادق. كما لقي نحو 7,000 من الموالين حتفهم أيضًا. بالإضافة إلى ذلك، قُتل 130,000 أمريكي آخر بسبب تفشي الجدري الذي تفاقم نتيجةً لحركة السكان خلال الحرب. كانت الثورة الأمريكية جحيمًا. فقد قارب عدد القتلى نسبةً إلى عدد السكان في الحرب الأهلية في ستينيات القرن التاسع

[8] حادثة شاي في بوسطن: حدثٌ احتجاجي وقع في 16 ديسمبر 1773 حين قام مستعمرون أمريكيون، رفضًا للضرائب البريطانية على الشاي، باقتحام سفن شركة الهند الشرقية في ميناء بوسطن وإلقاء شحنات الشاي في البحر. وتُعدّ الواقعة من المحطات المبكرة التي مهّدت لاندلاع الثورة الأمريكية.

[9] يشير طلاء الأجساد بالقطران والريش إلى عقوبة اجتماعية عنيفة ومهينة كانت تُمارَس في المستعمرات الأميركية ضد الأشخاص الذين يُنظر إليهم باعتبارهم خونة أو خارجين عن الإجماع السياسي—وفي هذا السياق، ضد الموالين للتاج البريطاني خلال الثورة الأميركية. ويُستدل بهذه الإشارة في الفقرة على أن الانقسام بين الوطنيين والموالين خلال الثورة الأميركية لم يكن خلافًا سياسيًا مجردًا، بل اتخذ طابعًا عنيفًا استُخدمت فيه وسائل الترهيب والمصادرة لدفع الموالين إلى تغيير موقفهم أو مغادرة المستعمرات، وهو ما يفسر خروج عشرات الآلاف منهم إلى كندا أو بريطاني.

[10] Camp fever يعني في الاستعمال التاريخي "حمّى المعسكر"، وهو اسمٌ قديم يُطلق على التيفوئيد الوبائي (epidemic typhus)، وهو مرضٌ مُعدٍ تسبّبه بكتيريا *Rickettsia prowazekii* وينتشر عبر قمل الجسم في البيئات المزدحمة ذات النظافة المتردّية، خصوصًا في المعسكرات العسكرية، والسجون، والسفن.

عشر، أي ما يقارب 4% من السكان الأحرار. وللمقارنة، توفي نحو ثلث واحد بالمئة من الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية. كانت الثورة من أجل "الديمقراطية والاستقلال" حربًا دموية.

تحول النضال من أجل الاستقلال إلى حرب -وحرب أهلية- في المقام الأول بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية للإمبراطورية البريطانية عقب انتصارها على فرنسا في ما عُرف بـ "حرب السنوات السبع" (1756-1763)، وهي الحرب التي شارك فيها العديد من المستوطنين والسكان الأصليين لأمريكا. فمنذ أوائل القرن السابع عشر، اعتمد المستوطنون البريطانيون في أمريكا الشمالية على التجارة الخارجية لضمان رفاهيتهم؛ إذ وفرت هذه التجارة للمستوطنين الملابس والأغطية، والمسامير والأسلحة النارية، وأدوات الطهي والمصنوعات المعدنية، وغيرها من الأدوات والمواد التي تعذر إنتاجها محلياً. ولولا هذه الواردات، لكان مستوى معيشتهم قد تدهور لدرجة قد تحول دون بقائهم هناك.

ولكن بعد الحرب مع فرنسا، تلاشت الغنائم التي كانت تُغتنم من الفرنسيين وكذلك العائدات المرتبطة بالقوات البريطانية المتمركزة في أمريكا الشمالية. وفي المقابل، ارتفعت أسعار الفائدة بشكل حاد، مما أدى إلى انخفاض مستمر في أسعار العقارات حتى هبطت في نهاية المطاف إلى نصف -أو حتى ثلث- قيمتها عند ذروة ارتفاعها. وقد ناشد المستعمرون "الوطن الأم" (بريطانيا) طلباً للمساعدة، إلا أن التاج البريطاني وبرلمانه في ويستمنستر كانا يسعيان -في كل منعطف- إلى تحميل المستعمرين تكاليف الحرب ضد فرنسا.

بدأت الأمور بقيود تجارية مرهقة أعاقت التجارة داخل المستعمرات وفيما بينها intra-and intercolonial trade. وبسبب انقطاعهم عن شركائهم التجاريين التقليديين في الخارج، لم يتمكن المستعمرون من كسب ما يكفي من العملات الأجنبية (العملات المعدنية) في الخارج. ثم جاء قانون العملة، الذي حظر على المستعمرات إصدار أي عملات ورقية غير قانونية. ثم جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير: قانون الطوابع، الذي ألزم المستعمرين بدفع ضريبة على أي مواد مطبوعة (شملت كل شيء من الوثائق القانونية إلى الصحف). حشدت النخبة الوطنية الشعب لمعارضة "الضرائب دون

تمثيل" - وهو أمر مثير للسخرية نوعًا ما بالنظر إلى أنه في بريطانيا، كان على معظم الناس دفع ضرائب يقررها برلمان ينتخب أعضاءه من 1% فقط من البالغين البريطانيين.

كانت الدعوة إلى "الديمقراطية" بمثابة إيذانٍ ببدء مسيرة الاستقلال؛ ففي يناير 1776، ألّف توماس پين[11] Thomas Paine —وهو حرفيٌّ فقيرٌ هاجر من بريطانيا— كُتيّباً بعنوان "الحس السليم" (Common Sense)، طرح فيه بأسلوبٍ مُثيرٍ ومُؤثّرٍ قضيةَ قيام جمهوريةٍ مستقلة، بدلاً من مجرد السعي للحصول على تمثيلٍ سياسيٍّ في ظل التاج البريطاني. وقد حقق الكُتيّب نجاحاً هائلاً ورواجاً واسعاً (إذ بيعت منه 100 ألف نسخة)، وانتشر بين مختلف طبقات المجتمع، ولا سيما في صفوف الجنود العاديين في جيش "الوطنيين" (Patriot army).

غير أن الديمقراطية بمفهوم "بين" Paine لم تكن هي الغاية التي سعى إليها الآباء المؤسسون؛ فقد كانوا عازمين طوال فترة الحرب ضد البريطانيين على الحيلولة دون بروز أي حركات أو مقترحات ديمقراطية جذرية. وفي هذا السياق، حاول القائد العسكري جورج واشنطن -الذي كان يُعد من أغنى رجال المستعمرات، إذ امتلك آلاف العبيد ومساحات شاسعة من الأراضي- منعَ تجنيد العبيد في الجيش، وذلك رغم أن البريطانيين كانوا يعرضون عليهم الحرية مقابل الانضمام إلى صفوف القوات الموالية للتاج البريطاني. ورغم اضطرار واشنطن في نهاية المطاف إلى الرضوخ لهذا الأمر، إلا أنه واصل قمع أي حركات تمرد أو عصيان داخل الجيش، تماماً كما فعل كروموِيل خلال الحرب الأهلية الإنجليزية في أربعينيات القرن السابع عشر. ولعل أشهر تلك المحاولات

[11] توماس پين (1737-1809) كاتبٌ سياسي وفيلسوفٌ راديكالي، ويُعَدّ من أبرز منظّري الجمهوريّة الحديثة في العالم الناطق بالإنجليزية. أدّى دورًا محوريًا في الثورتين الأمريكية والفرنسية من خلال سلسلة من الكتيّبات التي غدت جزءًا من التراث السياسي الحديث. إلى جانب كتابه **الحسّ العام** *Common Sense* الذي أسهم في تعبئة الرأي العام الأمريكي نحو الاستقلال، ألّف **حقوق الإنسان** *Rights of Man* دفاعًا عن مبادئ الديمقراطية والمساواة، كما كتب **عصر العقل** *Age of Reason*، الذي مثّل بيانًا عقلانيًا ضد التعصّب الديني، ودعوةً إلى الإيمان الطبيعي القائم على العقل. ترك بين أثرًا عميقًا في الفكر السياسي الحديث، بوصفه أحد أوائل المدافعين عن العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، والعقلانية التنويرية.

الرامية إلى تحويل الاستقلال إلى مساواة اقتصادية هي ما عُرف بـ "تمرد شيّز" Shays rebellion عام 1780،[12] أي بعد الانتصار في الحرب ضد البريطانيين.

أثارت مثل هذه التمردات مخاوف النخبة من التجار وملاك العبيد، ودفعتهم للعمل على تحويل "الكونفدرالية" الهشة التي كانت تجمع الولايات الاستعمارية إلى كيان موحد بموجب دستور صُمم عمداً لكبح أي ممارسة ديمقراطية قد تمنح الغالبية العظمى من الشعب سلطة تفوق سلطة القلة. وقد استلهم هذا الدستور نموذجه من الجمهورية الرومانية القديمة، التي قامت على نظام يضمن بقاء السلطة في يد النخبة الأرستقراطية من ملاك الأراضي عبر ما يُعرف بآليات "الضوابط والتوازنات" 'checks and balances'. ونص النظام الجديد على وجود رئيس يتمتع بصلاحيات تنفيذية ليحل محل الملك البريطاني؛ حيث انتُخب القائد العسكري للثورة، جورج واشنطن، رئيساً أول بالإجماع. كما تقرر إنشاء مجلس للشيوخ يضم أفراداً من النخبة لضمان عدم هيمنة أغلبية شعبية قد تعارض مصالح قطاع الأعمال أو نظام العبودية أو ملكية الأراضي. ولم يكن من المقرر انتخاب الرئيس عبر تصويت عام للبالغين، بل من خلال "مجمع انتخابي" 'electoral college' عزز نفوذ الولايات التي تعتمد على العبودية وأضعف الولايات الأكثر كثافة سكانية في الشمال. وعلاوة على ذلك، أُنشئت محكمة عليا يضم قضاة يُعينون مدى الحياة، وتتمتع بصلاحية تعطيل أي إجراءات تُعتبر "غير دستورية".

واجه الساعون للتمرد على هذا "الالتفاف" على الديمقراطية قمعاً وحشياً أو نداءً يحثهم على "التوجه غربًا" – أي عبور جبال "بلو ريدج" Blue Ridge بحثاً عن الثروة. فمنذ فجر الثورة، تطلعت كل من النخبة وعامة الناس في المستعمرات إلى الاستحواذ على أراضٍ في تلك القارة الشاسعة سبيلاً لزيادة رخائهم؛ وهو ما كان البريطانيون قد حالوا دونه مخصصين تلك الأراضي لشعوب السكان الأصليين. ومع هزيمة البريطانيين، بدأ تدفق هائل نحو الغرب، ليعمل بمثابة صمام أمان قوي حال دون اندلاع تمردات داخل

[12] تمرد شِيز (Shays' Rebellion) انتفاضة مسلّحة وقعت في ولاية ماساتشوستس بين عامي 1786–1787، قادها المزارع دانيال شِيز احتجاجًا على الضرائب الباهظة وإجراءات الحجز على ممتلكات المزارعين، وقد كشفت عن ضعف الحكومة الكونفدرالية وأسهمت في الدفع نحو صياغة الدستور الأميركي عام 1787.

المستعمرات السابقة. وفي المقابل، تعرضت شعوب القبائل الأصلية لسياسات إبادة جماعية متواصلة (تُشبه في طبيعتها ما يتكرر الآن في غزة)، حيث أُبيدت أعداد غفيرة من السكان وقُضي تماماً على مصادر غذائهم (ثور البيسون) buffalo. وفي الوقت نفسه، ترسخ نظام العبودية في المستعمرات الجنوبية، وذلك على الرغم من المحاولات البريطانية لإنهاء هذه الممارسة على مستوى العالم.

بعد الثورة، ظلت السلطة الاقتصادية راسخة في أيدي النخبة المالكة للعبيد؛ فقد شكّل كبار ملاك الأراضي والتجار 10% من السكان، لكنهم امتلكوا ما يقرب من نصف ثروة البلاد واستعبدوا سبع السكان. وهكذا، كانت الثورة الأمريكية "ثورة برجوازية" (مع بقاء بعض المؤسسات "الفريدة" على حالها، مما تطلب اتخاذ إجراءات لاحقة). صحيح أن الثورة احتاجت إلى حشد الطبقات الأفقر كي تنجح، لكن ذلك كان بهدف وحيد يتمثل في إقامة دولة رأسمالية مستقلة ستُحكم العالم في نهاية المطاف.

3 تموز 2026

https://thenextrecession.wordpress.com/2026/07/03/250-years-the-united-states-from-independence-to-empire/

في الجزء التالي، سأتناول الاقتصاد الأمريكي في القرن التاسع عشر: توسع الإمبراطورية عبر القارة وأمريكا اللاتينية، وما تلا الحرب الأهلية في ستينيات القرن التاسع عشر من تصنيعٍ لأمريكا ومزيدٍ من التوسع الإمبراطوري نحو المحيط الهادئ.

الجزء الثاني: الاقتصاد الأمريكي في القرن التاسع عشر: توسع الإمبراطورية، وتصنيعٍ أمريكا

استغرق الأمر بعض الوقت بعد الاستقلال وهزيمة البريطانيين حتى ينطلق الاقتصاد الجديد للولايات المتحدة؛ إذ استمرت الحروب بشكل متقطع مع بريطانيا حول كندا، وشملت غزوًا بريطانيًا وجيزًا وتدميرًا لمدينة واشنطن العاصمة عام 1812.

Indian Removal Act‘Trail of Tears’

[13] مبدأ مونرو (Monroe Doctrine) إعلان صدر عام 1823 عن الرئيس الأميركي جيمس مونرو، ينصّ على رفض أي تدخل أو استعمار أوروبي جديد في دول القارة الأميركية، ويعدّ أساسًا لسياسة الولايات المتحدة في اعتبار نصف الكرة الغربي مجالًا خاصًا لنفوذها.

Oregon Treatysettlements

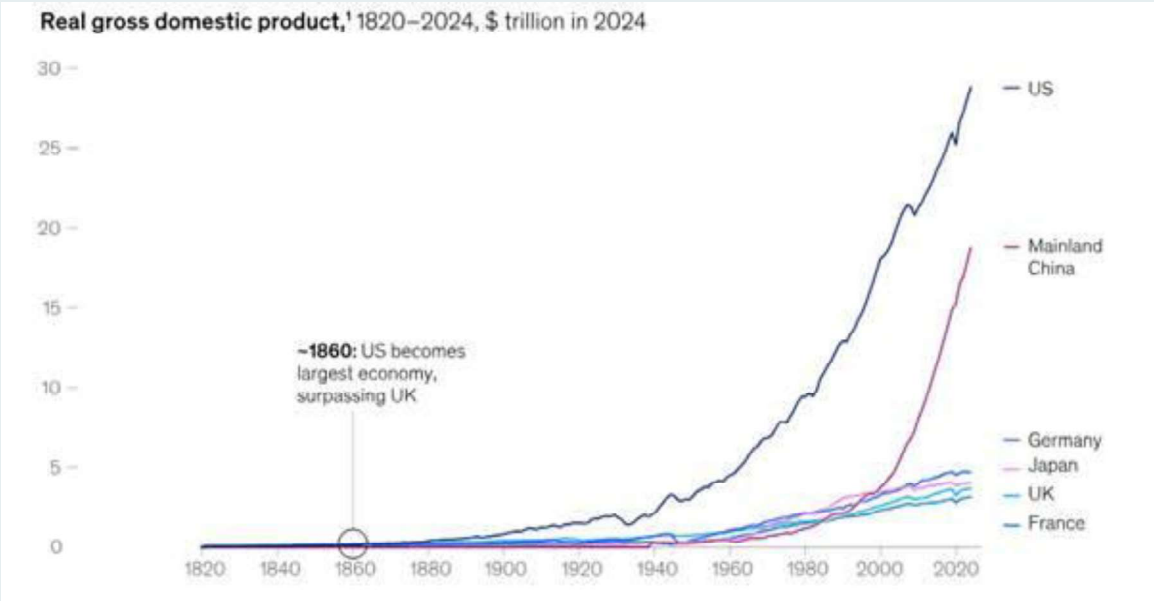

[14] الحرب الأهلية في الولايات المتحدة (1861–1865): صراع مسلّح اندلع بين الولايات الشمالية (الاتحاد) والولايات الجنوبية المنفصلة (الكونفدرالية)، بسبب الخلافات حول العبودية وصلاحيات الحكومة الفيدرالية. انتهت بانتصار الاتحاد، وإلغاء نظام الرق، وترسيخ سلطة الحكومة المركزية في الولايات المتحدة.

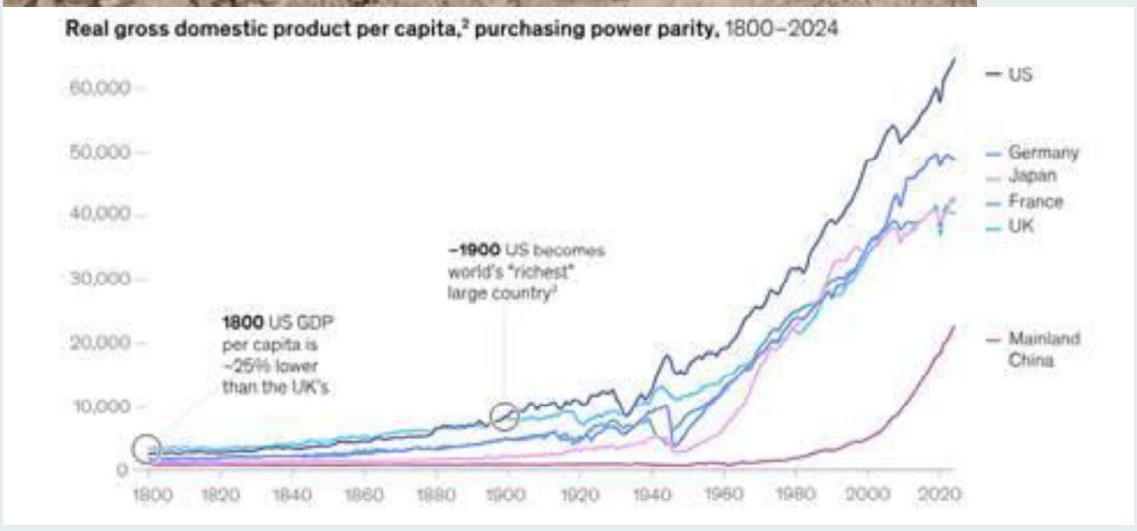
Real gross domestic product per capita,[2] purchasing power parity, 1800–2024
60,000
50,000
40,000
30,000
20,000
10,000
0
1800
1820
1840
1860
1880
1900
1920
1940
1960
1980
2000
2020
US
Germany
Japan
France
UK
Mainland China
~1900 US becomes world's "richest" large country[3]
1800 US GDP per capita is ~25% lower than the UK's

MidwaySamoaGuam

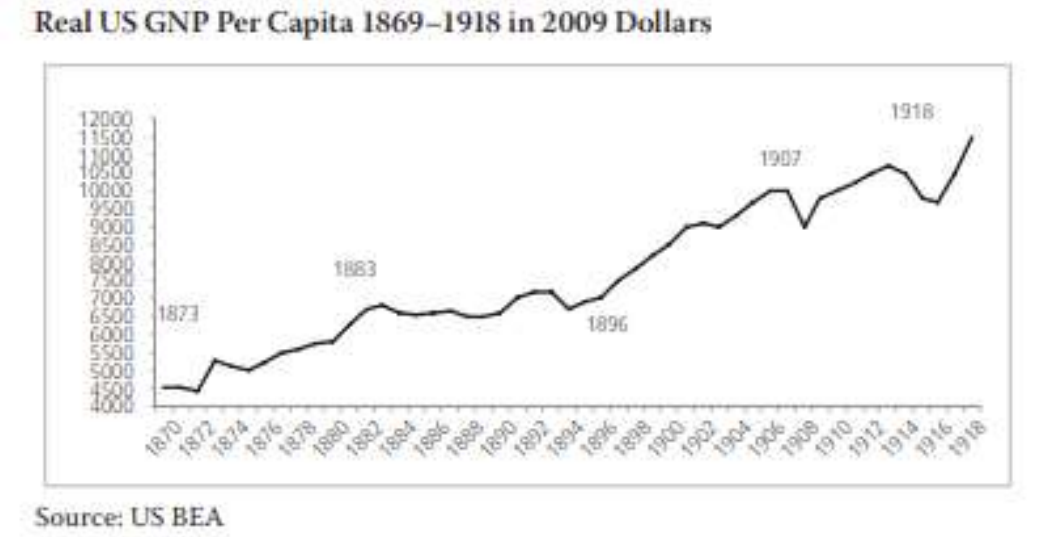

[15] جزيرة ميدواي (Midway Island): تمّ ضمّها إلى الولايات المتحدة في 28 أغسطس 1867 عندما تولّى القبطان ويليام رينولدز من السفينة USS Lackawanna إعلان وضعها تحت السيادة الأميركية.

[16] ساموا الأميركية (American Samoa): انتقلت إلى السيادة الأميركية بموجب اتفاقية برلين عام 1899 التي قُسّمت بموجبها جزر ساموا بين ألمانيا والولايات المتحدة، وأصبحت الجزر الشرقية (ساموا الأميركية) تحت الإدارة الأميركية ابتداءً من عام 1900.

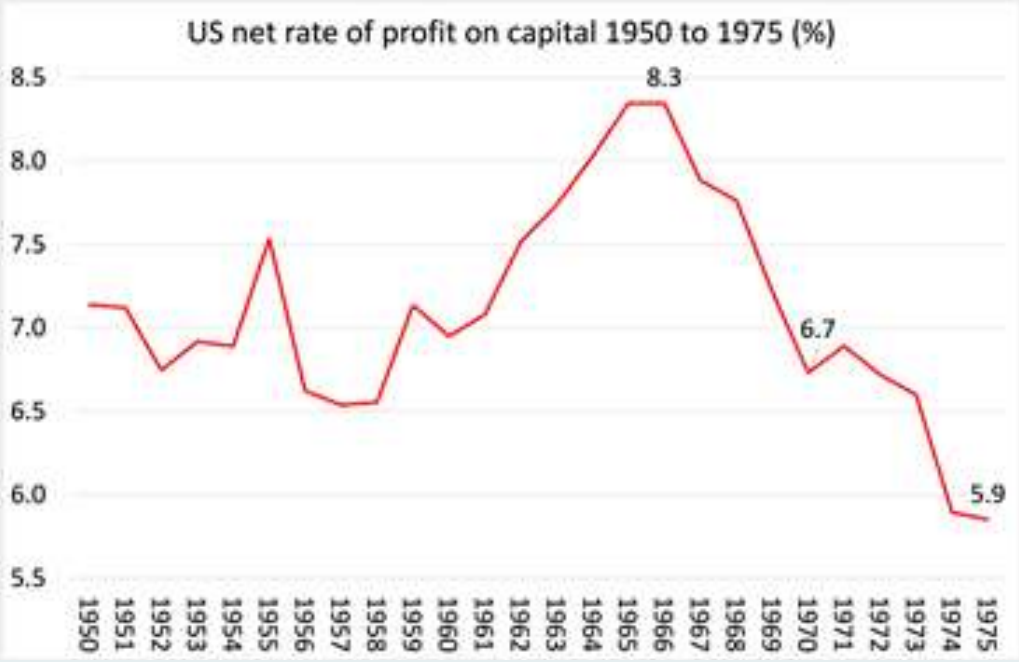
US net rate of profit on capital 1950 to 1975 (%)
8.5
8.0
7.5
7.0
6.5
6.0
5.5
8.3
6.7
5.9
1950
1951
1952
1953
1954
1955
1956
1957
1958
1959
1960
1961
1962
1963
1964
1965
1966
1967
1968
1969
1970
1971
1972
1973
1974
1975

الجزء الثالث: من الهيمنة إلى الأفول

https://thenextrecession.wordpress.com/2026/07/07/250-years-the-united-states-from-independence-to-empire-part-three/

في غضون قرنين تقريباً من نيلها الاستقلال عن الإمبراطورية البريطانية عام 1776، تحولت الولايات المتحدة إلى الدولة الرأسمالية الأكثر نجاحاً، متصدرةً بذلك جميع الاقتصادات الكبرى في العالم من حيث الناتج القومي، ومتوسط دخل الفرد، وإنتاجية العمل، والهيمنة المالية، والقوة العسكرية.

تكرست تلك الهيمنة في ظل الرأسمالية العالمية بحلول نهاية الحرب العالمية الثانية، التي خلفت أوروبا واليابان في حالة دمار شامل، وأثقلت كاهل بريطانيا بديون هائلة، وتركت أجزاءً واسعة من آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا تعاني من الفقر. ولم يتبقَّ سوى الاتحاد السوفيتي منافساً عسكرياً للولايات المتحدة، وإن كان يفتقر إلى القدرة على منافستها في مجالات الإنتاج الصناعي والتجارة والقوة المالية. وقد مثلت الفترة الممتدة من عام 1945 وحتى منتصف الستينيات "العصر الذهبي" للاقتصادات الرأسمالية الكبرى؛ إذ تضافرت فيها عوامل توفر الأيدي العاملة الوفيرة والرخيصة في أعقاب الحرب مع انتشار تقنيات جديدة كانت قد طُوِّرت قبل الحرب وخلالها. وفي تلك الأثناء، ظلت ربحية رأس المال مرتفعة، بل ومتنامية، طوال حقبتي الخمسينيات والستينيات، ولا سيما بالنسبة لرأس المال الأمريكي.

غير أن هذا الوضع لم يدم طويلاً. إذ ترى النظرية الماركسية حول الأزمات الرأسمالية أنه كلما زاد الرأسماليون استثماراتهم في التكنولوجيا -بهدف خفض تكاليف الإنتاج ورفع إنتاجية العمل- فإن الربحية الإجمالية لرأس المال تميل إلى الانخفاض؛ نظراً لأن الأرباح لا تتولد إلا من العمل. فإذا تراجع الاستثمار في قوة العمل (نسبياً) مقارنةً بالاستثمار في المصانع والمعدات والتكنولوجيا،

فـإن الربحيـة سـتنخفض في نهايـة المطـاف. وهـذا بالضـبط مـا حـدث وبقـوة شـديدة بـدءًا مـن منتصـف سـتينيات القـرن العشـرين، ممـا أدى إلى أول ركـود غـير أن هـذا الوضـع لـم يـدم طـويلاً. إذ تـرى النظريـة الماركسـية حـول الأزمـات الرأسـمالية أنـه كلمـا زاد الرأسـماليون اسـتثماراتهم في التكنولوجيـا -بهـدف خفـض تكـاليف الإنتـاج ورفـع إنتاجيـة العمـل- فـإن الربحيـة الإجماليـة لـرأس المـال تميـل إلى الانخفـاض؛ نظـراً لأن الأربـاح لا تتولـد إلا مـن العمـل. فـإذا تراجـع الاسـتثمار في قـوة العمـل (نسـبياً) مقارنـةً بالاسـتثمار في المصـانع والمعـدات والتكنولوجيـا، فـإن الربحيـة سـتنخفض في نهايـة المطـاف. وهـذا بالضـبط مـا حـدث وبقـوة شـديدة بـدءاً مـن منتصـف سـتينيات القـرن العشـرين، ممـا أدى إلى أول ركـود دولي slump مـتزامن في عـامي 1974 و1975، تـلاه ركـود عميـق recession ومـزدوج في قطـاع التصـنيع خـلال الفـترة مـا بـين عـامي 1980 و1982. دولي مـتزامن في عـامي 1974 و1975، تـلاه ركـود عميـق ومـزدوج في قطـاع التصـنيع خلال الفترة ما بين عامي 1980 و1982.

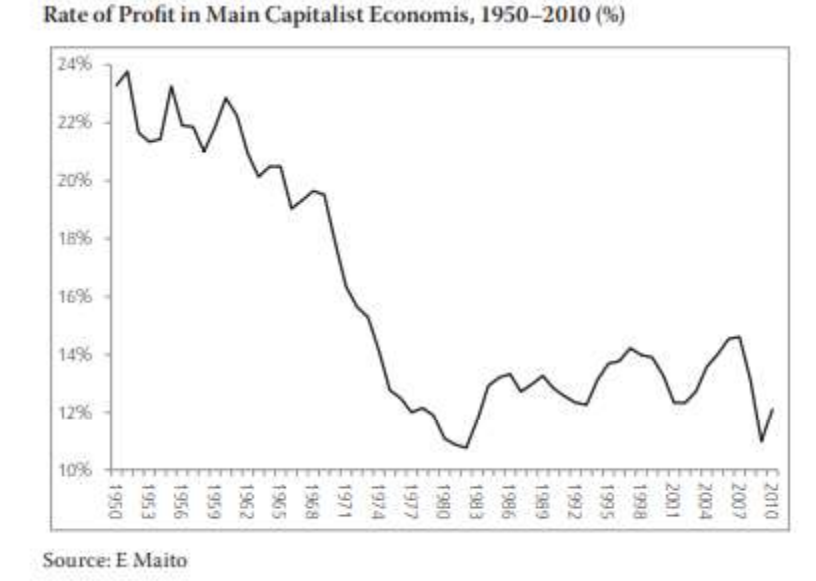

خـلال هـذه الفـترة، ظهـرت بـوادر تراجـع الهيمنـة الأمريكيـة؛ إذ بـدأت الصـناعة الأوروبيـة -الـتي اعتمـدت عـلى العمالـة الرخيصـة والائتمـان الأمـريكي وأحـدث التقنيـات- في انـتزاع حصـة مـن السـوق العالميـة عـلى حسـاب الصـناعة الأمريكيـة.

وفي حقبة السبعينيات، بدأت اليابان أيضاً في تقليص حصة قطاع التصنيع الأمريكي من الإنتاج والصادرات العالمية. وعلى الصعيد السياسي، أدت هزيمة أمريكا في فيتنام وسقوط سايغون إلى إضعاف هيمنتها الدولية. وطوال فترة الستينيات، تآكل الفائض في الحساب الجاري الأمريكي تدريجياً، حتى تحول هذا الحساب إلى تسجيل عجز بحلول أوائل السبعينيات؛ حيث بدأت الدولارات تتسرب من الولايات المتحدة إلى الخارج، ليس فقط عبر الاستثمارات الخارجية، بل أيضاً نتيجة للإفراط في الإنفاق والواردات مع تراجع مكانة المصنعين المحليين.

US current account balance to GDP (%), 1976-2020

أصبحت الولايات المتحدة تعتمد -للمرة الأولى منذ تسعينيات القرن التاسع عشر- على التمويل الخارجي لتغطية نفقاتها المحلية والخارجية. وبحلول ثمانينيات القرن العشرين، بدأت الولايات المتحدة في مراكمة صافي التزامات خارجية وصلت الآن إلى 90% من ناتجها المحلي الإجمالي.

في عـام 1971، أعلـن الـرئيس نيكسـون أن الولايـات المتحـدة سـتخفض قيمـة الـدولار وتـنهي ربطـه بسـعر الـذهب. وقـد مثّـل ذلـك فعليـاً نهايـة اتفاقيـة "بريتـون وودز"، الـتي أرسـت إطـاراً يلـزم جميـع الأطـراف بأسـعار صرف ثابتـة لعملاتهـا مقوّمـة بالـدولار الأمـريكي. ومـع إعـلان نيكسـون، تخلـت الولايـات المتحـدة عـن نظـام "بريتـون وودز"، وتخلـت معـه عـن النظـام النقـدي الـدولي بأكملـه الـذي ساد في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية واتسم بالطابع الكينزي.

أدى تراجـع الربحيـة في الاقتصـادات الكـبرى، ومـا صـاحبه مـن ركـود تضـخمي في سـبعينيات القـرن العشـرين وحـالات الركـود الاقتصـادي في أوائـل الثمانينيـات، إلى تحـول جـذري في السياسـة الاقتصـادية. فابتـداءً مـن ثمانينيـات القـرن العشـرين -أي خـلال مـا يُعـرف بالحقبـة النيوليبراليـة- تخلـت القـوى الرأسـمالية عـن نهـج إدارة الاقتصـاد الكلي، واتجهـت نحـو خفـض الإنفـاق العـام، وخصخصـة أصـول الدولـة، وتحريـر القطـاع المـالي مـن القيـود التنظيميـة، وإضـعاف نفـوذ النقابـات العماليـة، والأهـم مـن ذلـك كلـه، نقـل عمليـات التصـنيع مـن الولايـات المتحدة إلى آسيا -ولا سيما الصين- للاستفادة من انخفاض تكلفة العمالة.

لقـد شـهدت الإمبرياليـة الأمريكيـة انهيـار الاتحـاد السـوفيتي، إلا أنهـا بـدأت تفقـد مكانتهـا النسـبية -مـن حيـث حجـم التجـارة والإنتـاج- لصـالح اقتصـادات كـبرى

أخـرى، ولا سـيما الصـين. وفي المقابـل، عـززت أوروبـا تكاملهـا ضـمن منطقـة اليـورو ووسـعت نطاقهـا نحـو أوروبـا الشرـقية مسـتفيدةً مـن وفـرة الأيـدي العاملـة الرخيصـة هنـاك، بينمـا حققـت "النمـور الآسـيوية" قفـزات نوعيـة بفضـل التقنيـات الجديـدة. وقـد تبـوأت الصـين مكانـة القـوة العالميـة الرائـدة في مجـالي التصـنيع والتجـارة (وهـو تحـول كـان مـدفوعاً جزئيـاً بوجـود الشرـكات الأمريكيـة متعـددة الجنسـيات الـتي نقلـت عملياتهـا إلى هنـاك خـلال ثمانينيـات القـرن الماضي).

سـاهمت هـذه السياسـات النيوليبراليـة في رفـع ربحيـة رأس المـال في الاقتصـادات الكـبرى -بمـا في ذلـك الولايـات المتحـدة- لمـا يقـرب مـن عقـدين مـن الـزمن، وهي الفـترة الـتي شـهدت توظيـف تقنيـات جديـدة (مثـل أجهـزة الكمبيـوتر والبرمجيـات الرقميـة، ولاحقـاً شـبكة الإنترنـت) لتعزيـز الإنتاجيـة. غـير أن قـانون مـاركس الخـاص بالربحيـة فـرض في نهايـة المطـاف ضـغوطه الهبوطيـة downward pressure؛ فمـع حلـول نهايـة القـرن العشرـين، واجهـت جميـع الاقتصـادات الكـبرى صـعوبة في الحفـاظ عـلى معـدلات النمـو الاقتصـادي الـتي كانـت قـد حققتهـا في التسـعينيات (ناهيـك عـن تلـك المسـجلة في السـتينيات). وقـد دخلـت هـذه الاقتصـادات فيمـا أطلقـتُ عليـه اسـم "الكسـاد الطويـل" Long Depression، لا سـيما في أعقـاب الانهيـار المـالي العـالمي ومـا تـلاه مـن "ركـود عظـيم" Great Recession في عـامي 2008 و2009. وشـهدت العقـود الثلاثـة الأولى مـن القـرن الحـادي والعشرـين تبـاطؤاً في النمـو الاقتصـادي وتراجعـاً في معـدلات الاسـتثمار ونمـو الإنتاجيـة في الاقتصـادات الكـبرى، فضـلاً عـن وقـوع أكـبر أزمـتي ركـود slumps في تـاريخ الرأسـمالية الأمريكيـة الممتـد لـ 250 عامـاً: أزمة 2008-2009 وأزمة عام 2020.

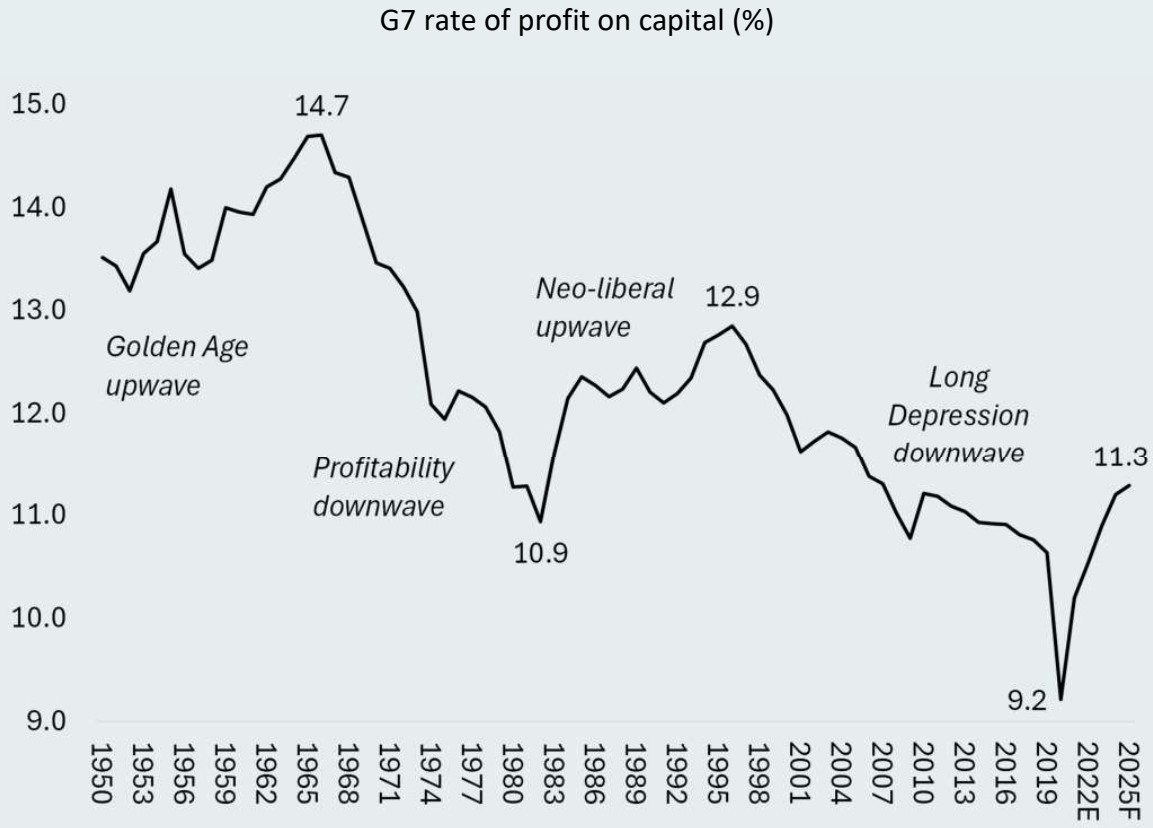

ومـع بلوغهـا سـن الـ 250 عامـاً، لا تـزال الولايـات المتحـدة تُولِّـد 26 في المائـة مـن النـاتج المحـلي الإجمـالي العـالمي، وتُعـد مقـراً لـ 59 شركـة مـن بـين أكـبر 100 شركـة في العالم.

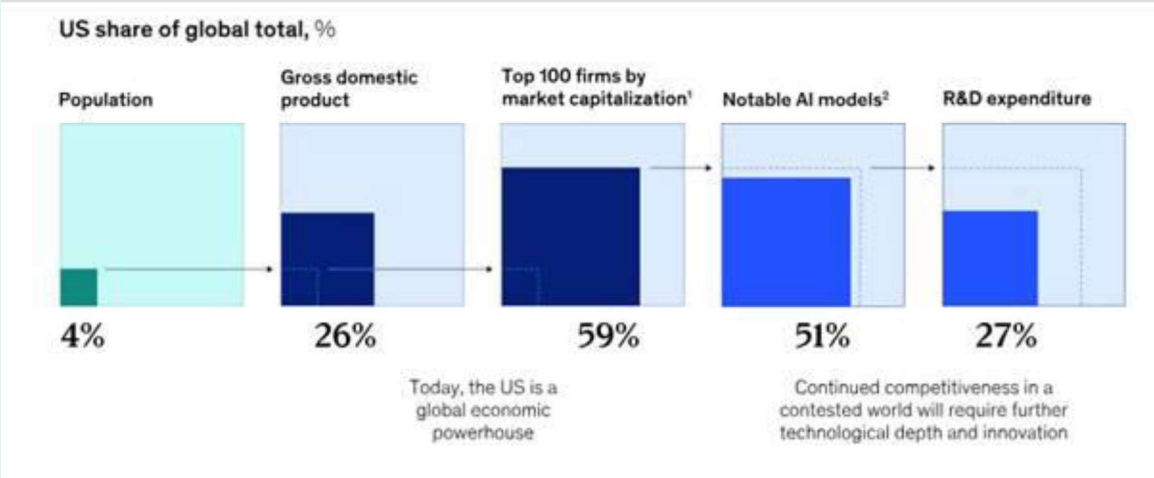

لا يـزال الـدولار الأمـريكي يمثـل عملـة الاحتيـاطي الرئيسـية عـلى الصـعيد الـدولي؛ إذ تـدخل العملـة الأمريكيـة طرفـاً في نحـو 90% مـن معـاملات الصرـف الأجنـبي العالميـة، وتـتم فـوترة وتسـوية مـا يقـرب مـن 40% مـن التجـارة العالميـة (خـارج الولايـات المتحـدة) بالـدولار، كمـا يـتم تـداول قرابـة 60% مـن الأوراق النقديـة للـدولار الأمـريكي دولياً باعتبارهـا مخزنـاً عالميـاً للقيمـة ووسـيلة للتبـادل. وعـلاوة عـلى ذلـك، تظـل أكـثر مـن 60% مـن احتياطيـات النقـد الأجنـبي العالميـة الـتي تحتفظ بها البنوك المركزية والسلطات النقدية الأجنبية مقوّمة بالدولار.

ومـع ذلـك، فـإن التراجـع النسـبي الكـامن في القـدرة التنافسـية الأمريكيـة قـد أدى تـدريجياً إلى إضـعاف قيمـة الـدولار الأمـريكي مقابـل العمـلات الأخـرى، إذ يفـوق المعـروض مـن الـدولار حجـم الطلـب عليـه عـلى الصـعيد الـدولي. ومنـذ إعـلان نيكسـون التـاريخي، انخفضـت قيمـة الـدولار الأمـريكي مقابـل العمـلات الأخـرى بنسبة 20%، وهو ما يُعد مؤشراً جيداً على التراجع النسبي للاقتصاد الأمريكي.

في القرن الحادي والعشرين، تواجه الإمبراطورية الأمريكية منافساً لهيمنتها يُعدّ أخطر بكثير من الاتحاد السوفيتي أو اليابان أو أوروبا. فقد بدأت الصين في توسيع قدراتها الصناعية خلال ثمانينيات القرن الماضي، ثم كثفت هذا التوسع على نطاق واسع في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، لتتفوق بذلك على الولايات المتحدة من حيث حصتها في الإنتاج الصناعي العالمي بحلول عام 2010. وتُعد الصين اليوم القوة الصناعية العظمى في العالم؛ إذ يفوق حجم إنتاجها مجموع إنتاج الدول التسع التي تليها في قائمة أكبر الدول المصنعة. وفي حين استغرقت الولايات المتحدة معظم فترات القرن العشرين لتتبوأ الصدارة في مجال التصنيع، لم تحتج الصين سوى لنحو 15 أو 20 عاماً لتحقيق ذلك. ففي عام 1995، لم تكن حصة الصين تتجاوز 3% من الصادرات الصناعية العالمية، أما الآن فقد ارتفعت هذه النسبة لتتجاوز 30% بكثير. وعلاوة على ذلك، تسجل الصين فائضاً في المدفوعات والمقبوضات payments and receipts مع الدول الأخرى يعادل نحو 1-2% من ناتجها المحلي الإجمالي سنوياً، في حين تعاني الولايات المتحدة من عجز في الحساب الجاري يراوح بين 3% و4% من ناتجها المحلي الإجمالي سنوياً.

لقد باءت بالفشل الذريع كل المحاولات الرامية إلى كبح توسع الصين في مجالات المنتجات التقنية وأشباه الموصلات وغيرها؛ إذ بدأت الصين تلحق بالركب في "حرب الرقائق" وأطلقت نماذج ذكاء اصطناعي خاصة بها تعتمد على "المصادر المفتوحة" -مثل نموذج DeepSeek- والتي باتت تنافس بقوة نماذج أمريكية باهظة التكلفة مثل ChatGPT وClaude، بل وتتفوق عليها من حيث التكلفة والفعالية.

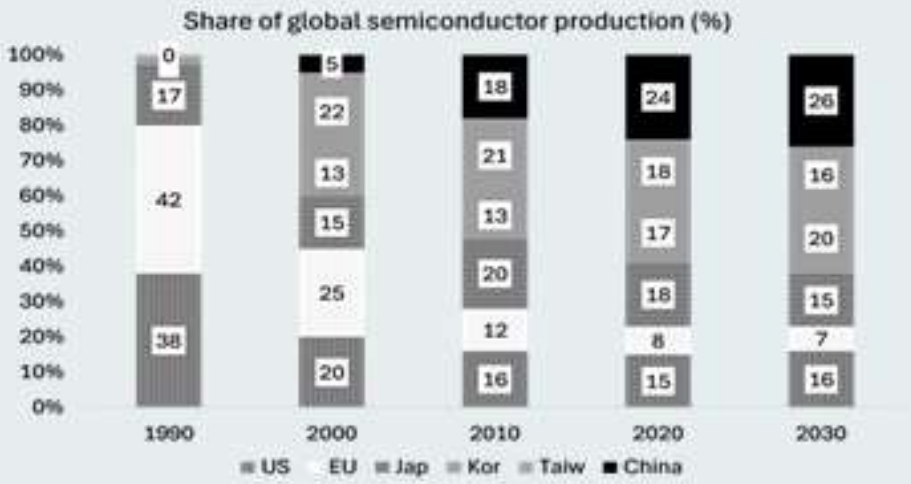

تهيمن الصين أيضاً على النطاق الكامل لتصنيع الطاقة المتجددة.

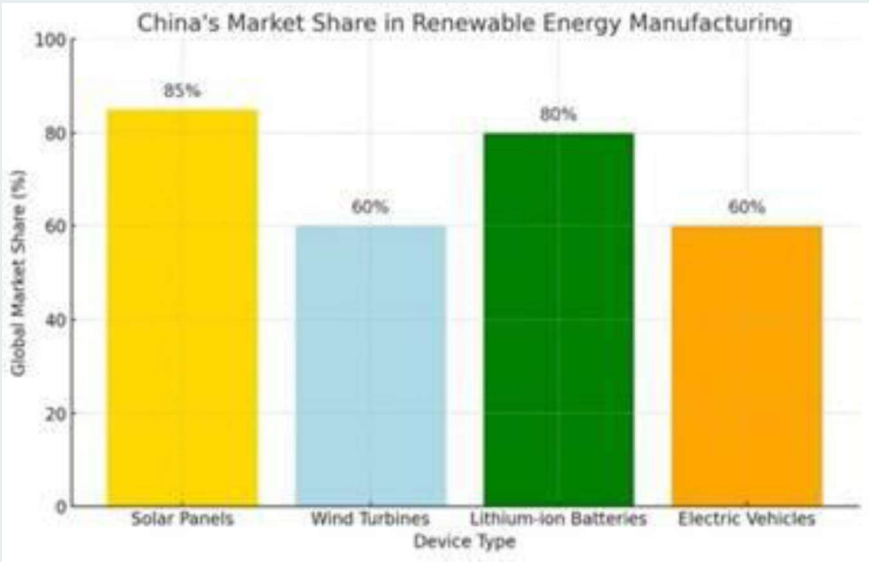

وتتصدر الصين بفارق كبير مجال استخدام الروبوتات، إذ تشهد معدلات تركيبها ارتفاعاً بنسبة 7% سنوياً، في حين تتراجع هذه المعدلات في الولايات المتحدة بنسبة 9% سنوياً. وتضم الصين حالياً في قطاعها الصناعي عدداً من الروبوتات يفوق ما يمتلكه بقية العالم مجتمعاً.

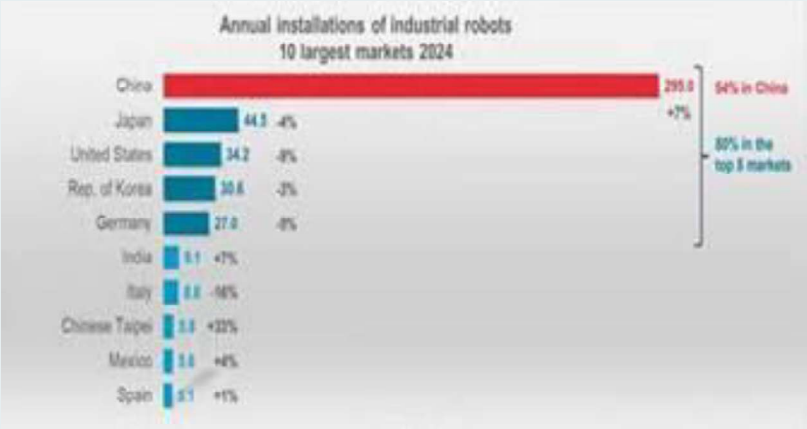

Source: International Robotics Institute

لا يـزال الطريـق طـويلاً قبـل أن ينهـار الاقتصـاد الأمـريكي الجبـار ويجثـو عـلى ركبتيـه. ورغـم أن هـذا الاقتصـاد قـد يتحمـل أكـبر قـدر مـن صـافي الالتزامـات الماليـة عـلى مسـتوى العـالم، إلا أنـه قـادر عـلى إدارة هـذا الوضـع؛ كونـه الدولـة الوحيـدة الـتي تمتلـك صـلاحية إصـدار الـدولار، الـذي لا يـزال يمثـل العملـة الدوليـة المعتمـدة للتجـارة والاسـتثمار والاحتياطيـات. إذ يتعـين عـلى الـدول الـتي تحقـق فائضـاً تجاريـاً -مثـل ألمانيـا واليابـان والصـين- توظيـف معظـم عائـداتها الدولاريـة في شراء أصـول مقومـة بالـدولار؛ وهكـذا، تضـمن "الامتيـازات الهائلـة" التي يتمتع بها الدولار استمرار دوران عجلة الإمبراطورية الأمريكية.

عـلاوة عـلى ذلـك، ورغـم أن قيمـة الاسـتثمارات الأمريكيـة في الخـارج قـد تكـون *أقـل مـن قيمـة* الاسـتثمارات الأجنبيـة داخـل الولايـات المتحـدة -ممـا يُنشئ "مركـزاً اسـتثمارياً صـافياً سـلبياً"- إلا أن العوائـد الـتي يجنيهـا الأجانـب مـن تلـك الأصـول الأمريكيـة *تقـل* عمـا يحققـه المسـتثمرون الأمريكيـون مـن أصـولهم الخارجيـة. ونتيجـة لـذلك، تحقـق الولايـات المتحـدة فائضـاً صـافياً في الـدخل يبلـغ في المتوسـط مـا لا يقـل عـن 0.5% مـن النـاتج المحـلي الإجمـالي منـذ عـام 2008، وهـو مـا يصـب في صـالح اقتصـادها المحـلي.[17] ولـم تبلـغ الولايـات المتحـدة بعـد

[17] So there is a net surplus in income for the US of at least 0.5% of GDP on average since 2008, to add to its domestic economy.

"نقطة التحول" التي يصبح فيها حجم صافي التزاماتها تجاه الأجانب كبيراً لدرجة تؤدي إلى تلاشي فائض صافي الدخل لديها.

في القرن الحادي والعشرين، تتلخص الجغرافيا السياسية بشكل متزايد في صراع بين قوة مهيمنة آخذة في الضعف —وهي الولايات المتحدة— وعملاق اقتصادي صاعد يتمثل في الصين. ولا تزال الولايات المتحدة تهيمن عسكرياً، إذ تنفق على قواتها المسلحة مبالغ تفوق ما ينفقه بقية العالم مجتمعاً، وتدير ما يقرب من 800 قاعدة عسكرية في الخارج، في حين لا تمتلك الصين سوى قاعدة واحدة. ومع ذلك، فقد كشفت الحرب في إيران عن عجز الجيش الأمريكي عن فرض إرادته على دولة ذات اقتصاد متواضع (من الدرجة الثالثة) لا تمتلك أسلحة نووية، في مشهد يعيد إلى الأذهان ذكريات حرب فيتنام قبل أكثر من خمسين عاماً.

بالنسبة للنخب الحاكمة في الولايات المتحدة، تُعد الصين العدو الأكبر والتهديد الأبرز لهيمنتها العالمية. وينطبق هذا الموقف سواء على جناح "لنجعل أمريكا عظيمة مجدداً" (MAGA) الداعم لترامب في البيت الأبيض، أو على "العولميين" داخل "الدولة العميقة" الأمريكية ودوائر "المحافظين الجدد" في الحكومة. وتكمن الاختلافات في السياسة المتبعة في أن أنصار ترامب يسعون إلى تركيز القوة الأمريكية في نصف الكرة الغربي، تمهيداً لمواجهة الصين عبر المحيط الهادئ، على غرار ما فعلته أمريكا مع اليابان في ثلاثينيات القرن الماضي؛ إذ ترى هذه المجموعة أن بإمكان أوروبا التعامل مع روسيا وأوكرانيا بمفردها، وبإمكان إسرائيل التعامل مع شؤون الشرق الأوسط بنفسها أيضاً.

في المقابل، لا يزال لدى دعاة العولمة طموحات كبيرة للهيمنة على الصعيد العالمي؛ فهم يريدون استمرار الحرب مع روسيا حتى تُجبر على الركوع ويحدث "تغيير للنظام" فيها، كما يهدفون إلى دعم إسرائيل والمشاركة عسكرياً حتى يسقط النظام الإيراني. ويتأرجح ترامب بين هاتين السياستين، إذ يميل حالياً نحو تيار العولمة فيما يتعلق بملف إيران. ومع ذلك، يتفق كلا

الجناحين على أمر واحد: لا بد في نهاية المطاف من "التعامل" مع الصين؛ أي إضعافها اقتصادياً وإجبارها في النهاية على القبول بالسياسات والهيمنة الغربية.

لا توجد إمبراطورية أمريكية ذات إمبراطور رسمي، رغم أن ترامب يسعى - بشكل متزايد- لترسيخ مكانته كإمبراطور، إذ يضرب بعرض الحائط صلاحيات الكونغرس والمحاكم، ويتجاوز القواعد المالية والعملية الانتخابية. غير أن الإمبراطورية الأمريكية تواجه مأزقاً؛ ولهذا السبب، يبدي قطاع عريض من النخبة الحاكمة في أمريكا استعداداً لمجاراة ترامب وأنصاره (شعار "لنجعل أمريكا عظيمة مجدداً") في مساعيهم الرامية إلى إنهاء قواعد التجارة الحرة الدولية واللجوء إلى الرسوم الجمركية الحمائية، وزيادة الإنفاق العسكري بشكل حاد، وخفض الضرائب على الأثرياء والشركات العملاقة، مقابل تقليص خدمات الرعاية الصحية والمرافق العامة المتاحة لبقية فئات المجتمع. وهكذا يزداد الأغنياء ثراءً، بينما يزداد الباقون فقراً.

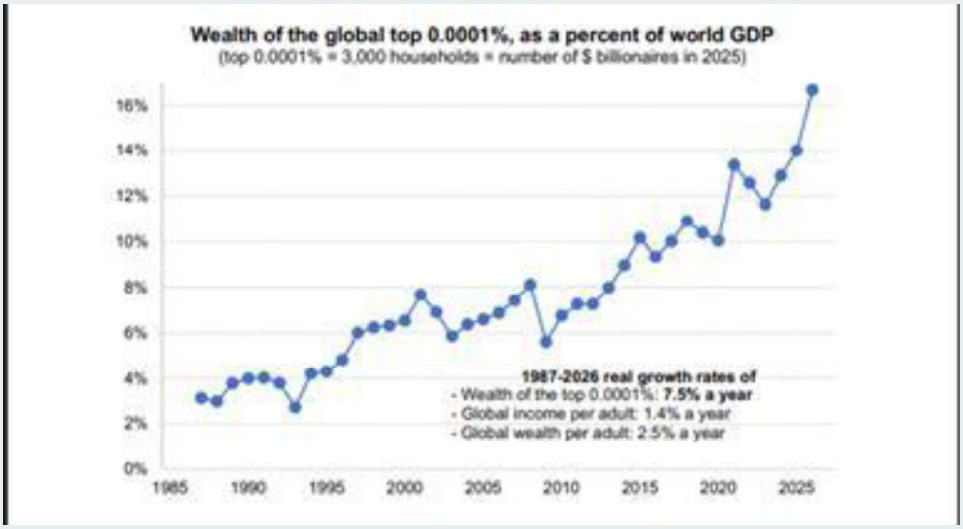

لا عجب أن نظرة الأمريكيين لمستقبل البلاد باتت قاتمة بعد مرور 250 عاماً؛ إذ يرى معظمهم أن الولايات المتحدة قد تجاوزت بالفعل أزهى عصورها، كما سجلت نسبة من يعبرون عن فخرهم الشديد بكونهم أمريكيين أدنى مستوياتها على الإطلاق.

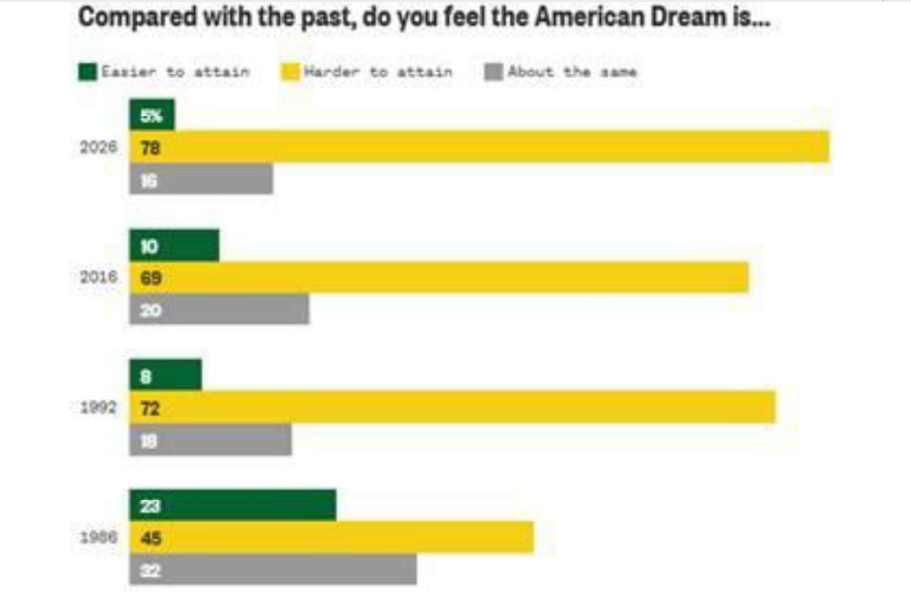

الرئيس ترامب يحظى بأدنى مستوى من التأييد بين جميع الرؤساء، لكنه يمضي قُدُمًا دون اكتراث نحو انتخابات الكونغرس النصفية.

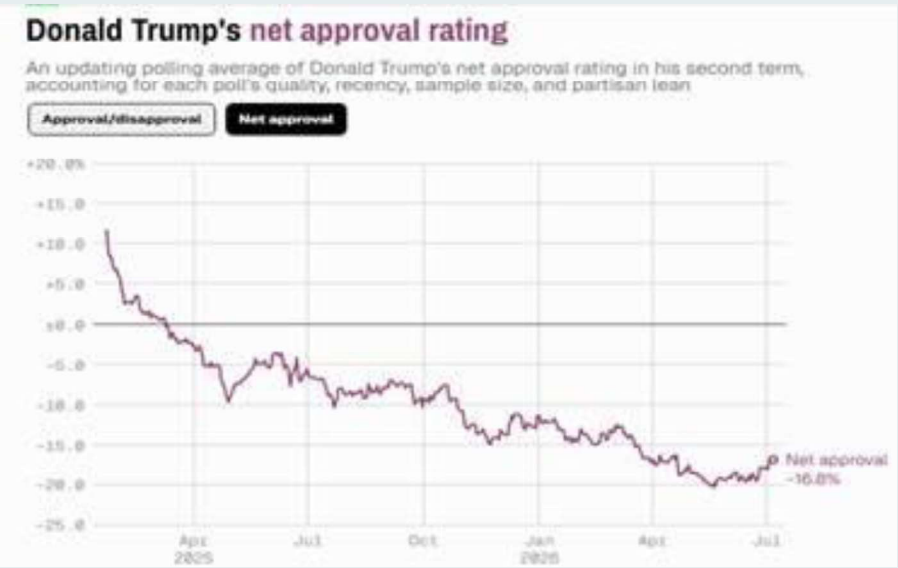

استهل عطلة نهاية الأسبوع المخصصة للاحتفال بالذكرى الـ250 لتأسيس البلاد بهجومٍ على ما أسماه "الخطر الشيوعي" في أمريكا، واصفاً أنصاره بأنهم "أعداء الرابع من يوليو 1776". وقد ألقى كلمته في منطقة "بلاك هيلز" (التلال السوداء) في داكوتا، وهي المنطقة التي استولت عليها الحكومة الأمريكية بشكل غير قانوني من "أمة السو" Sioux Nation عام 1877، وذلك بعد أن أجبر الكونغرس القبيلة على التنازل عن أراضٍ كانت مكفولة لها بموجب معاهدة. ويبدو أن الشيوعية -في نظره- تشكل تهديداً للحرية الأمريكية يفوق خطر الحربين العالميتين (بما في ذلك هزيمة النازية) وهجمات 11 سبتمبر 2001 الإرهابية (التي نفذها متطرفون إسلاميون سبق وأن مولتهم الولايات المتحدة لهزيمة روسيا في أفغانستان). وقد جادل ترامب بأن الشيوعيين لا يحبون الله أو الدين، ولا يحترمون القانون أو العدالة أو المبادئ أو التقاليد أو الحقوق التي منحها الله للبشر- (وهو هنا يبدو وكأنه ينظر في المرآة).

"يمكنك أن تكون موالياً لكارل ماركس أو موالياً لأمريكا؛ يمكنك أن تكون شيوعياً أو وطنياً، لكن لا يمكنك الجمع بين الأمرين". وفي معرض تعهده بـ "القضاء على الشيوعية بسرعة" و"نفيهم"، قال لحشدٍ هتافُه يصدح بشعار

"لنجعل أمريكا عظيمة مجدداً" (MAGA): "سنُبعدهم بسرعة، وسنواصل بناء بلادنا لتصبح أكبر وأفضل وأقوى من أي وقت مضى. لن تكون أمريكا أبداً دولة شيوعية".

كانت الجمهورية الرومانية القديمة النموذج الذي اعتمده الآباء المؤسسون لدستور الولايات المتحدة. إلا أن نظام "الضوابط والتوازنات" 'checks and balances' الذي كان يقوم عليه هذا النظام لتقاسم السلطة قد أُهمل عندما استأثر أحد أفراد النخبة بالسلطة المطلقة، وتحولت روما إلى إمبراطورية (بإمبراطور) حوالي عام صفر قبل الميلاد. بلغت الإمبراطورية ذروتها بعد نحو 200 عام، ثم بدأت بالانحدار نتيجةً لمزيج من التناقضات الداخلية في اقتصادها القائم على العبودية (إذ لم يعد هناك عبيد)، وتفاقم التفاوتات بشكل كبير (حيث كانت الأراضي في أيدي نخبة أرستقراطية)، بالإضافة إلى عوامل خارجية تمثلت في ضعف قدرتها على فرض سيطرتها على إمبراطوريتها في مواجهة القوى المقاومة (القبائل الجرمانية).

تنطبق الاتجاهات ذاتها اليوم على الإمبراطورية الأمريكية؛ إذ لم يعد اقتصادها الرأسمالي محركاً للتوسع والازدهار، كما أن التفاوت في الدخل والثروة بلغ مستويات غير مسبوقة منذ 250 عاماً ولا يزال يتفاقم. وعلاوة على ذلك، فقدت الولايات المتحدة تدريجياً قدرتها على فرض هيمنتها الأمنية على العالم، وهو ما تظهره أحداث فيتنام وإيران وأوكرانيا والصين. لقد استغرقت عملية أفول روما وسقوطها قرنين من الزمان، أما في عالم الرأسمالية المعاصر، فلن تستغرق العملية كل هذا الوقت؛ إذ قد تتحول الولايات المتحدة إلى دولة شيوعية قبل وقت طويل من نهاية هذا القرن، أو قد نُدفع جميعاً نحو عصور مظلمة -على غرار ما حدث عند انهيار الإمبراطورية الرومانية- ولكن هذه المرة نتيجة كارثة مناخية أو دمار نووي شامل.

7 تموز 2026

https://thenextrecession.wordpress.com/2026/07/07/250-years-the-united-states-from-independence-to-empire-part-three/

مكتبة الظل الموازي

مشروع ثقافي طوعي يُعنى بنقل نصوص من اللغة الإنجليزية إلى العربية، مع اهتمام خاص بالترجمات القصيرة والمختارات النوعية التي تفتح نوافذ جديدة على الفكر النقدي العالمي الذي لا يترجم دائمًا إلى العربية. يسعى المشروع إلى تقديم ترجمات رصينة، تُعرّف القارئ بأصوات فكرية مغايرة، وتأكيد فعل الترجمة بوصفه ممارسة معرفية.

تعمل مكتبة الظل الموازي كمساحة حرة للتجريب، تجمع بين المقالات، والمقتطفات، والقراءات العابرة، لتشكّل أرشيفًا حيًا للنصوص التي تستحق أن تُقرأ بالعربية، سواء كانت كلاسيكية أو معاصرة، مركزية أو هامشية، وتنشر إلكترونيًا كملفات بي دي إف.

تحتفي المكتبة بالترجمة كفنّ، وكجسر، وكدفتر مفتوح على عالم فكري قد لا يجد له دائمًا حضورًا في الصحف والمجلات العربية.

وكما في مشروع مكتبة التأمين العراقي، فإن الظل الموازي مشروع غير ربحي، يستقبل الترجمات المنشورة وغير المنشورة لتوسيع دائرة النشر. المطبوعات ستكون متوفرة دون مقابل.

مصباح كمال

كتب منشورة

مايكل پارنتي: الرأسمالية في الحياة اليومية: مقالات في السوق، والطبقات، والتاريخ
مارتن-هارت لاندسبيرغ: مقالات في نقد الذكاء الاصطناعي
مايكل روبرتس: لماذا فشل مشروع التغيير في فنزويلا
جيفري إبستين: فضح الارتباط الإسرائيلي
إريك توسان: نصف الكرة الغربي: تاريخ الولايات المتحدة الذي كتبته الحرب
دراسات أكاديمية بالإنجليزية مترجمة حول العراق: ترجمة محمد توفيق على
الإسلام في أوروبا: جدل الحضور والتأثير عبر أربعة عشر قرنًا
فلسطين: الحق والمساءلة في عصر اللاعقاب
آينشتاين: موقفه من الصهيونية والاشتراكية
الجسد الأنثوي والهيمنة الثقافية الأمريكية: قراءة في سيرة مارلين مونرو
وكالة المخابرات المركزية والحرب الثقافية
مايكل روبرتس: 250 عاماً: الولايات المتحدة – من الاستقلال إلى الإمبراطورية

يمكن الحصول على هذه الكتب بصيغة بي دي إف بالكتابة إلى مصباح كمال على العنوان التالي:
misbahkamal@btinternet.com